الحلقة الأولي

عبيد الإسلام السود ، تاريخ التيه الأسود الآخر لإفريقيا

عنوان الكتاب الصادر 2001م

Islam's Black slaves , The History of Africa's other Black Diaspora Ronald Segal

وصلني بالكتاب الأستاذ الفاروقي رئيس تحرير مجلة Impact التأثير الناقد أو الصادم ، لأقوم باستعراضه ، قبل نحو 14 عاما ولم يرضى حينها الاستاذ الفاروقي المشهود له بالدقة عن استعراضي فأعاده عليّ لأقوم بتحسينه ولكني لم أفعل وهانذا أعود لتقديمه وهو كتاب صادم من عنوانه – لأنه يتكلم عن ممارسات قوميات وشعوب ثم ينسبها للإسلام ، أكبر دعوة تحريرية للإنسان ، إذ شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق وخطاب الإسلام الافتتاحي تكلم عن القراءة وفك الرقية وإطعام المسكين والمساواة وتحرير العقول والأنفس وإفراد الأرواح والأنفس بالتوحيد وعبادة الله الواحد الأحد ، وفي السودان جرت محاولات من كتاب سودانيين لإستخدام دراسات الرق لروافع سياسية ، مثل دراسة المرحوم محمد ابراهيم نقد الرق في السودان عشاري وبلدو – مذبحة الضعين أو الرق في السودان و غيرها.

والغريب أنه في كتابه الأول عن تجارة الرقيق عبر الأطلنطي لأوربا وأمريكا لم يسمه عبيد النصرانية السود ولكن اسماه " التيه الأسود: خمسة قرون من تجارب السود خارج إفريقيا.

ويبدأ دراسته بأن الرق في الإسلام على عكس أوربا والغرب، موجه للإستخدام الإستهلاكي ، كخدم البيوت أو العسكرية أو الحاشية أو نظام الحريم والجواري والإماء . بينما الرق في التجربة الغربية للإنتاج – أي وحدات عمل لوضع طاقاتها في مسار إنتاجي مثلهم مثل الآلات لا مراعاة لإنسانيتهم أو عواطفهم فهم فقط أدوات إنتاج. ويقر الكاتب بأن معاملة الرقيق في الإسلام أكثر إنسانية ورشدا وأن الإسلام يكبح نوازع استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وأن كان رقيقا ، وفي مقارنته يذكر بأن تجار الرقيق الأوربيين كانوا مهتمين بالذكور وأن كل ذكرين تم ترحيلهم عبر الاطلنطي كان بينهم انثي بينما العكس وسط تجار الرقيق المسلمين كل انثيين بينهم ذكر، بينما تجار المسلمين نقلوا بالآلاف والأوربيين بالملايين ، كما أن العبودية في الإسلام ليس أساسها اللون والإسلام ليس فيه تمييز عرقي أو لوني على عكس تجربة الإنسان الأبيض .

كما أن العبودية في الإسلام مجرد محطة ، يمكن مغادرتها ليس فقط لآفاق الحرية ولكن لآفاق السيادة ، والتمكين ، حيث أصبح العتقاء سادة وأمراء وقواد جيش وولاه وحكاما ، حكموا مصر وبغداد وحواضر العالم الإسلامي ، وعلى عكس التجربة الغربية ليست هناك معابد للسود واخرى متميزة للبيض فالمسجد حاضنة لكل مسلم أسود أو أبيض ، قوي أو ضعيف ، عزيز أو منبوذ، ويستشهد الكاتب بالآيات الدالة على إكرام الإنسان في القرآن ولكنه ينتهي إلى أن التجربة الإسلامية والتاريخ الإسلامي لم يعكس تماما هذه القيم- ويتعرض حتى لسيرة سيدنا الحسين سبط رسول الله ويقول أنه مات وعمره 45 عاما ولكنه في عمره القصير هذا تزوج وطلق مائة زيجة، وتجافي الكاتب أن يذكر حقيقة أن كل مسلم حينما يود أن يصبح جزءا من الدوحة النبوية بالمصاهرة فكان سيدنا الحسن مغلوبا على أمره وليس بطلا.

ويعطي الكتاب وصفا لبغداد كحاضرة من حواضر العالم الإسلامي وأنها تمتد طولا 9 كلم وعرضا 8 كلم وأن ميزانيتها بتقديرات الحاضر تتجاوز البليون دولار ، وأن معنى كلمة مملوك أنّه عبد ولكن المماليك العبيد نتيجة للحراك الإسلامي أصبحوا سلاطين حكموا مصر والشام ودافعوا عن حوزة الإسلام وهزموا التتر على يد الظاهر بيبرس ، وحتى في الدولة المغولية في الهند التي قامت 1556 أصبح بعض قادتها من العبيد السودان المجلوبين من أثيوبيا ونواحي إفريقيا.

ويعود إلى تجار الرقيق المسلمين مثل الحاج على البرناوي الذي قابله الرحالة المعروف ليوس بركهاردت في النوبة ، قائلا حينها تسمعه يعظ ويرشد تحسبه ملاكا ولكنه في باع في سوق النخاسة بالمدينة المنورة ابنة عمه التي تزوجها في مكة . ويشير المؤلف إلى أن الخليفة عبالرحمن الثالث (61- 912) بقرطبة كان له ستة آلاف جارية – هل فهمنا لماذا سقطت الأندلس.

ويتكلم عن أكبر مأساة عرفها التاريخ الإنساني وهي مأساة خصي الآخر ، بإزالة أعضائه التناسلية، حتي يؤتمن على خدمة النساء ، وأن بعض الرهبان المسيحيين وكذلك اليهود كانوا يقومون بهذه الخدمة المزرية , ويشير إلى مشاهدات ابن بطولة في سلطنات إفريقيا الإسلامية وكيف كانت تغذي حواضر العالم الإسلام بالخصيان والأغوات ، علما بأنه في بعض الحالات ينجو حياً واحداً فقط من كل عشرة يتم إجراء هذه العملية له – ولذلك اسعار الخصيان مرتفعة لأنهم يخدمون الملوك والسلاطين وثمن الواحد قد يعادل أحيانا مائة من الرقيق .

وفي المرة القادمة نواصل .

أ.د. حسن مكي محمد أحمد